الأبحاث والدراسات 38

# الأوضاع السياسية والحضارية في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور

( ١٣٦ – ١٥٨ هـ / ٧٥٣ – ٧٧٤ م ) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي، ( ق١ – ١٠ هـ / ق ٧ – ١٦ م )، لغيثان بن جريس (مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م)، ص ص ١٢٧ – ١٦٥.

# الدراسة الخامسة

# الأوضاع السياسية والحضارية في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور

## ( ١٣٦ — ١٥٨ هـ / ٧٥٣ — ٧٧٤ م )(*)

(*) بحث منشور ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس بالقاهرة ، رقم السلسلة (٩٦) (١٤١١هـ / ١٩٩١م ) ص١-٢٦ .

# الأوضاع السياسية والحضارية في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور

## ( ١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م )

كانت المدينة المنورة بأرض الحجاز العاصمة الأولى للدولة الإسلامية خلال النصف الأول من القرن الهجري الأول ، لكن بعد خروج الخليفة علي بن أبي طالب ( ٣٦هـ / ٦٥٦م — ٤٠هـ / ٦٦٠م ) من الحجاز ، ثم ظهور الخليفة معاوية بن أبي سفيان ( ٤١هـ / ٦٦١م — ٦٠هـ ٦٧٩م ) انتقلت الخلافة من المدينة المنورة إلى دمشق التى بقيت عاصمة للدولة الأموية لفترة تزيد عن التسعين عام ( ٤١هـ / ٦٦١م — ١٣٢هـ ٧٤٩م ) كما ظهر من السياسيين من كان يبذل كل ما في وسعه لإرجاع عاصمة العالم الإسلامي إلى المدينة المنورة في الحجاز وكان أقوى من تزعم حركة سياسية أوشكت أن تطيح بالدولة الأموية ، هو عبد الله بن الزبير الذي حارب جيوش بني أمية وتغلب عليها في عدة معارك، لكن حنكة وسياسة الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥هـ/٦٨٤م — ٨٦ هـ/٧٠٥م ) مكنته من القضاء على ثورة ابن الزبير(١).

ولم يستمر طويلاً حكم الدولة الأموية حيث دب الضعف في كيانها مع ظهور بني العباس الذين استطاعوا أن ينتزعوا الأمر من بني أمية ، وأن يكون السفاح أول خليفة عباسي يستمر في الحكم أربع سنوات (١٣٢هـ/٧٤٩م—

١٣٦هـ/٧٥٣م)، ثم أعقبه الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦هـ/٧٥٣م- ١٥٨هـ/٧٧٤م) الذي يعد المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس التي حكمت ما يزيد عن خمسة قرون ( ١٣٢هـ / ٧٥٣م – ٦٥٦هـ ١٢٥٨م ) . والذي كان له من الآثار السياسية والحضارية في جميع أجزاء الدولة الإسلامية ما يجعل العديد من المصادر الأساسية تطيل الحديث عن أعماله ، بل وتصفه بالمؤسس الأول لدولة بني العباس ، ولما كانت منطقة الحجاز جزءاً مهماً من أجزاء دولة الخلافة العباسية فإن موضوع البحث سوف يكون مركزاً على أوضاع الحجاز السياسية والحضارية في عهد المنصور ، حيث نناقش ما ظهر في الحجاز من ثورات سياسية ضد حكم الخليفة ، وكيف تم القضاء على تلك الثورات ، مع التطرق لنتائج تلك الثورات على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، ثم التعرض لما قدمه الخليفة المنصور من أعمال خيرية تجاه المجتمع الحجازي .

## أ - **الأوضاع السياسية :**

في حقيقة الأمر أن أرض الحجاز كانت مهمة لأي خليفة من خلفاء بني أمية في الشام أو بني العباس في العراق ، لكي يبسط نفوذه عليها ، وتكون ولاية من ولاياته ، وذلك لمكانتها وأهميتها الإسلامية وكونها أراضي مقدسة وبها الحرمان الشريفان ، ففي عهد الخليفة السفاح كان من أول أعماله بعد توليه الخلافة أن أرسل عمه داود بن علي ليكون أميراً على أرض الحجاز ( ٢ ) . في حين أن الفترة التي ظهرت فيها الدولة

العباسية ، كان يسكن أرض الحجاز عدد من شخصيات البيت الطالبي الذين ينتسبون إلى كل من الحسن والحسين أولاد علي بن أبي طالب ، وكان مقرهم في مدينة الرسول ﷺ وما حولها ، ومن أهم الشخصيات الإمام جعفر الصادق ، والحسن بن زيد ، وعبد الله بن الحسن " الملقب بالمحض " وولداه محمد ، الملقب بالنفس الزكية وإبراهيم وغيرهم عدد كثير ( ٣ ) . وكان من أخطر الرجال على ظهور الدولة العباسية هو عبد الله بن الحسن وولداه النفس الزكية وإبراهيم ، لأنهم من أول وهلة أظهروا عدم رضاهم بأن تكون الخلافة في أبناء عمومتهم من بني العباس، وذلك لاعتقادهم أنهم قد خُدعوا أثناء الدعوة السرية لإسقاط الدولة الأموية ، في أن الدعوة كانت قد أنشئت ببعض أفراد البيت الطالبي ، ثم انتقلت إلى البيت العباسي فبقوا يدعون سراً لرجل من آل البيت دون أن يفصحوا لأبناء عمومتهم من الطالبيين في أن الخلافة ستكون في رجل من البيت العباسي ، وليس من البيت الطالبي ، علماً أن العديد من أفراد البيت الطالبي كانوا يظنون أن الخلافة ستكون فيهم ومن هؤلاء الأفراد عبد الله بن الحسن وولداه ( ٤ ) . ولهذا قاموا بإعداد العدة والاستعداد للثورة ضد العباسيين منذ أعلن بنو العباس خلافتهم بزعامة أبي العباس ، عبد الله السفاح ، وكان عبد الله بن الحسن وولداه، محمد النفس الزكية وإبراهيم ، هم المتزعمون للثورة المناوئة لبني العباس ، إلا أن سياسة السفاح كانت تتسم بالمداهنة والمسالمة

خلال مدة خلافته ، فكان دائماً يتصل بالعلويين في الحجاز ويطلب منهم الزيارة في أرض العراق ، إلى جانب أنه كان يغدق عليهم الأموال الطائلة والهدايا والإقطاعات الزراعية حتى استطاع ان يكسب رضاهم فلم يقوموا بأي ثورة ضده (٥). لكن هذه السياسة التي سلكها لم تستمر على نفس المستوى من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور ، وخصوصاً مع عبد الله بن الحسن وولديه ومن كان يؤيدهم في الثورة ضد العباسيين، فكان دائماً يراقب تحركاتهم خطوة خطوة فكلما ذهب إلى الحجاز للحج والعمرة بذل ما في وسعه لمقابلتهم والتعرف على مؤامراتهم ومخططاتهم ضده ، وفي حالة عدم مقابلته ، أو تغيب بعض الشخصيات التي يخاف منها على مواجهته ، يسعى ويلح في السؤال عنهم لمعرفة الأسباب التي منعتهم من مقابلته ، ومن المواقف التي تذكرها المصادر أنه حج سنة (١٤٠هـ / ٧٥٧م) فلم ير محمداً وإبراهيم ولدي عبد الله بن الحسن ، فطلب والدهما وسأله عنهما ، وألح أن يخبره أين ذهبا فأبدى عبد الله بن الحسن بعض الأعذار متلمساً لولديه من الخليفة عدم غضبه منهما(٦). وبهذا فإن الأمر بدأ يتأزم بين الخليفة المنصور والطالبيين الذين أصبحوا يجهزون أنفسهم للثورة على الخليفة الذي بدأ يمارس أيضاً أنواعاً من المضايقات عليهم إلى جانب أنه أوقف العطايا والهبات التي كانت تصلهم أثناء خلافة الخليفة السفاح .

ومن أعمال الخليفة المنصور التي سلكها ضد العلويين أنه بدأ يرسل الأمراء الأقوياء الذين عرف عنهم الحزم والقوة ليكونوا ولاة الحجاز ويراقبوا حركات العلويين ، ويضيقوا عليهم ، ويعاقبوهم بالسجن والجلد والتعذيب أحياناً ( ٧ ) . إلى جانب إرسال الخدم والجواسيس إلى مكة والمدينة ليتجسسوا لصالحه ويخبروه بكل ما يرون من أعمال العلويين ، وكذلك ما يقوم به الولاة الذين أرسلهم إلى الحجاز من عمل في أحكام السيطرة على المنطقة الحجازية ، وقمع الثورات التي تظهر بها . وكان الخليفة أيضاً يرسل الجواسيس على هيئة تجار في الأسواق أو خدم يقومون بالخدمة في الحرمين الشريفين ، كالتنظيف وسقاية الحجيج وما شابه من الأعمال ، مع العلم أن مهمتهم الأساسية هي التجسس ومراقبة أحوال الحجاز لصالح الخليفة (٨) . وبالرغم مما كان يبذله الخليفة من مراقبة العلويين فقد نجحت ثورتهم في المدينة المنورة بقيادة محمد النفس الزكية في منتصف عام(١٤٥هـ / ٧٦٢م) (٩). وربما كان سبب ثورة العلويين الأساسية في الحجاز أنهم رأوا أن الخلافة قد سُلبت منهم بصنيع بني العباس عندما نادوا في باديء الأمر بأن الدعوة في آل الرضى من آل البيت وبعد نجاحهم في إسقاط دولة بني أمية حصروا الخلافة في البيت العباسي ، لهذا بذل العلويون كل ما في وسعهم للثورة ضد بني العباس وكسب مساعدة وولاء الحجازيين الذين كانوا هم أنفسهم يريدون التخلص من الخلافة العباسية ، كما فعلوا

مع عبد الله بن الزبير في عهد الخلافة الأموية ، وذلك ربما طمعاً في إرجاع عاصمة الخلافة الإسلامية إلى أرض الحجاز ، كما كانت في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين .

وبالرغم من أن العلويين ظهروا كثائرين في أرض الحجاز ضد ولاة وممثلي الخلافة ، إلا أن الخليفة لم يكن يتسرع في إرسال جيش يقضي على ثورتهم وإنما أنتظر حتى يرى ماذا يفعلون ، فكان أن قام محمد النفس الزكية وكتب رسالة مطولة يذكر فيها أحقية أولاد علي بن أبي طالب في الخلافة لمواقف جدهم علي بن أبي طالب في خدمة الإسلام، لكونه بين أول من أسلم بدين الإسلام ، ثم أستطرد يعدد مناقب الطالبيين وعلى العكس يذكر العديد من مثالب العباسيين وأجدادهم ثم يطلب في النهاية أن يتنازل الخليفة العباسي عن الخلافة ويتركها لأهلها أولادهم العلويين ، فرد المنصور على تلك الرسالة برسالة مطولة أخبر فيها أن أولاد بني العباس هم الذين استطاعوا أن يقضوا على بني أمية ، في حين أن أولاد علي بن أبي طالب فشلوا في ذلك ، ثم عدد أشياء عديدة من مناقب العباس عم الرسول ﷺ وكذلك أولاده ، وبهذا فهم الأحق بزعامة الخلافة الإسلامية ، ولن يتنازل عن الخلافة كما طلب محمد النفس الزكية ثم قام فأعد العدة وجهز الجيوش لإرسالها إلى الحجاز وقمع ثورة العلويين (١٠). وقد تزعم الجيش الذي أرسل من العراق ولي عهد الخليفة المنصور عيسى بن موسى فصار في عدد أربعة

آلاف جندي سالكاً طريق الكوفة الحجاز ، وعند وصوله استطاع أن يستميل عدداً من رجال محمد النفس الزكية ، حتى لم يبق معه إلا قلة قليلة ، ثم حاربه عدة أيام ، حتى قضى عليه بالقتل وقضى على ثورته قضاءً تاماً ( ١١ ).

ومع أن ثورة محمد النفس الزكية كانت نهايتها الفشل لأسباب قد لا يكون مردها قوة الخليفة المنصور أو الجيش الذي أرسله تحت قيادة عيسى بن موسى ، لكن يبدو أن سبب الفشل عائداً لما قام به محمد النفس الزكية من ارتجالية في ثورته ، بل ولأسباب أُخرى عدة نوردها فيما يلي :

أ - ظهرت الثورة في بلاد الحجاز فباءت بالفشل ، لما تتصف به هذه البلاد من صعوبة التضاريس والمواصلات التي تصلها بغيرها من العالم ، ولضيق وقلة الغذاء بها ، فهي فعلاً لم تكن أرضاً غنية تسد حاجة سكانها بل كانت تعتمد على ما يأتيها من أطراف العالم الإسلامي ، كبلاد مصر ، والعراق واليمن وغيرها ، وأكبر دليل على ذلك مصداقية قولنا إنه أثناء سماع الخليفة بقيام ثورة محمد النفس الزكية أمر بقفل الطريق البري والبحري الذي يصل بلاد الشام ومصر ببلاد الحجاز حتى لا تصل إليهم المعونات والمواد الغذائية التي كانت تأتيهم من تلك الأطراف ( ١٢ ) .

ب - أن من يقارن في الدقة بين التنظيم والترتيب من قبل الخليفة المنصور ومن قبل محمد النفس الزكية ، يجد أن الأخير كان ارتجاليا في تنظيمه ، بل وفي علاقته بمن أنضم معه على الرغم من كثافة جنده حتى أن الطبري يذكر في احد رواياته أنه قد اشترك معه في ثورته ما يزيد عن مائة ألف رجل من الحجازيين ( ١٣ )، في حين أن عيسى بن موسى لم يأت بأكثر من أربعة آلاف جندي وسبب ، فشله إذاً عدم التنظيم وعدم جمع كلمة من أنضم معه على رأي واحد، إلى جانب تعدد الآراء في اتخاذ القرار لمقابلة جيش المنصور ، فهناك رواية تذكر أن الحجازيين اللذين انضموا مع محمد النفس الزكية قد اختلفوا فيما بينهم في الطريقة التي يقاتلون بها جيش الخليفة ، هل تكون دفاعية أو هجومية في حين أن فئة . أخرى كانت لا ترى في الحرب فائدة وطلبوا من محمد النفس الزكية أن يخرج من المدينة إما إلى البوادي ، وإما إلى أرض مصر حتى يستعدوا استعداد تاماً ثم يعودوا لمقابلة جيش الخليفة وهذه الخلافات بين رجال محمد النفس الزكية هي التى مكنت عيسى بن موسى مع أربعة آلاف من الجند في أن يقضوا على تلك الثورة قضاء مبرماً ( ١٤ ).

ج - لم تكن سياسة محمد النفس الزكية في نفس المستوى الذي يتصف به الخليفة أبو جعفر المنصور ولا حتى قائد جيشه الذي ذهب إلى الحجاز عيسى بن موسى ، فمحمد النفس الزكية كان في مرتبة أقل من الخليفة وقائده لعدم حزمه وضبطه لرجاله الذين قاموا لمساعدته ، ثم التسرع في ثورته، بل وفي قراراته حتى أنه ليُذكر أنه في أول خطبة خطبها، وكانت حوله أعداد كبيرة من الرجال ، قال لهم : من يريد البقاء معي فليبق ومن يريد الذهاب فإن له ذلك ولا بيعة لي على من يغادر وإنما هو في حل(١٥) فمثل هذا الإعلان في الخطبة قد يقلل من شأنه ، وفعلاً تركه أعداد كثيرة ممن كان معه ولم يبق عنده في آخر أيام الثورة إلا عدد قليل (١٦).

وظهور ثورة محمد النفس الزكية في المدينة بأرض الحجاز كانت لها نتائج سلبية على المجتمع الحجازي ، وخصوصاً فيما يتعلق بعلاقة الخليفة المنصور بالحجازيين: فحين قيامه بحركة الثورة قام عدد كبير من رجالات بني هاشم والقرشيين بوجه عام بمساندة العلويين ضد الخليفة المنصور وممثليه في أرض الحجاز، إلى جانب ظهور أعداد كثيرة من الموالي والعبيد وجمع القبائل العربية المحيطة بالمدينة، أمثال قبائل مزينة، وجهينة، وبني سليم، وغطفان، فانضمت إلى

محمد النفس الزكية لمحاربة المنصور ( ١٧ ) ومع أن المصادر قد أشارت إلى كثرة الأعداد التي انضمت للعلويين إلا أننا لا نستطيع أن نعثر على رواية تذكر أعدادهم على وجه الدقة في حين أن الطبري أشار أنهم قد يتجاوزون المائة ألف نسمة(١٨). في حين أنه كان هناك بعض القرشيين والموالي والعبيد المقيمين في أرض الحجاز والمؤيدين للخليفة المنصور؛ إلا أنهم بدون شك لم يستطيعوا ولن يقدروا على مواجهة الثوار لهذا كان السبب في إرسال عيسى ابن موسى بالأربعة آلاف رجل للتصدي للثوار وهزيمتهم وقتل أغلبهم(١٩).

أيضاً طبقات العلماء ورجال العلم كانوا أكثر تعاطفاً مع العلويين ومن أشهر العلماء في الحجاز عبد الملك ابن جريج ، وسفيان بن عينيه وإمام دار الهجرة مالك بن أنس، الذين يُروَى أنهم كانوا مؤيدين لمحمد النفس الزكية وثورته ، وخصوصاً مالك بن أنس الذي ذكر عنه أن أهل المدينة وما حولها جاءوا إليه يستفتونه في حكم البيعة التي أعطوها الخليفة المنصور على أكراه وأنهم يرغبون في نقضها، فكانت فتواه أنهم أعطوا البيعة على إكراه وأي بيعة على إكراه فهي باطلة ، وبهذه الفتوى يذكر أنه خرج عدد كثير من أهل الحجاز مع النفس الزكية(٢٠).

ومـع أن أغلبيـة أهل الحـجاز كانت إلى جانب العلويين إلا أن الهزيمة كانت حليف محمد النفس الزكية واعوانه وذلك لأسباب سبق ذكر العديد منها ( ٢١ ) ، ثم إن الخليفة المنصور لم يكن يتورع عند هزيمة العلويين من معاقبة كل من قدم المساعدة لمحمد النفس الزكية وأهل بيته فتذكر بعض الروايات أنه أرسل إلى واليه على المدينة جعفر بن سليمان العباسي ليقبض على كل من ساعد العلويين من القرشيين ، فيضعه في السجن أما من تثبت مساعدته من الموالي فيقطع أيديهم وذلك عقابا لهم على ما عملوا في مناصرتهم العلويين ضد الخلافة ( ٢٢ ) ، أما القبائل العربية التي كان أغلبها قد انضم إلى العلويين فلم يسلموا أيضاً من العقاب ، فيُذكر أن المنصور أمر بجمع أربعمائة من أعيان قبائل مزينة وجهينة مع بعض العلويين ثم أنزل بهم العقاب الجماعي الذي كان متنوعاً فمنهم من سجن ومنهم من ضرب وقتل ( ٢٣ ) ولم يكن عقاب المنصور لمن ثار مع العلويين مقتصراً على الأعيان من القبائل أو بالشكل الجماعي كما فعل مع شيوخ القبائل ، بل كان أيضاً يبالغ في إيذاء من يفشي أسرار جواسيسه الذين يرسلهم إلى الحجاز لمراقبة النفس الزكية وتثبت إدانته فإنه لا يتوانى في إنزال العقاب

به وأكبر مثال على ذلك ما يُذكر عن رجل من قبيلة مزينة حين أطلع على معرفة بعض جواسيس المنصور الذين يراقبون حركات العلويين فأوصل هذا الرجل خبرهم إلى محمد النفس الزكية وأهل بيته فوصل الخبر إلى المنصور فأمر بالقبض على ذلك الرجل وجلده سبعمائة وقيل تسعمائة سوط جزاء لما فعل من مساعدة للعلويين(٢٤).

أيضاً نجد أن بعض العلماء ورجال الفقه والحديث في أرض الحجاز لم يسلموا من عقاب المنصور وأكبر دليل على ما حدث هو أن أنزل والي الحجاز جعفر بن سليمان العباسي العقاب بالإمام مالك ، بسبب فتولاه التي أعطاها أهل الحجاز، فيذكر أنه ضربه سبعين سوطاً ثم خلعت يده من كتفه فبقي معاقاً طول حياته ( ٢٥ ) .

وما قام به الخليفة المنصور أو ولاته في الحجاز ضد من ساعد الثوار ليس بالأمر الخفي حيث إن الوضع السياسي يحتم عليه وعلى ممثليه في الحجاز وغيرها أن يحافظوا على كيان الدولة الناهضة ويقمعوا جميع الثورات التي تظهر ضدهم سواء كانوا من قبيلة قريش أم غيرها ، وتذكر المصادر أن الذي أخذ القرار والتنفيذ بضرب الإمام مالك هو أمير المدينة جعفر بن سليمان دون علم الخليفة المنصور ، بل

وتذهب إلى أبعد من ذلك في أن الخليفة عندما سمع بما فعل جعفر لمالك ذهب إلى الحجاز ، وعزل الوالي من الإمارة ثم استأذن مالك موضحاً له أنه لا علم له بما فعل جعفر بن سليمان ولم يكن لديه علم بما أنزل به من عقوبة ، ثم طلب من مالك إذا أراد أن ينزل العقاب بجعفر فلم يكن من مالك إلا أن عفا عنه ( ٢٦ ) . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل من المعقول أن يقوم جعفر بن سليمان بضرب مالك ومعاقبته دون علم الخليفة المنصور ؟ وللإجابة على هذا السؤال فإنه من المستبعد صحة كل ما قيل ، ولا يمكن أن يقدم جعفر بن سليمان على عمله فيما يتعلق بمالك إلا بإشارة من الخليفة والأدلة التي تجعلنا نجزم أن الخليفة هو صاحب الكلمة الأولى في ضرب مالك عديدة ، ومن أهمها :

أ. أن ما سطرت المصادر الأساسية عن حنكة وسياسة الخليفة المنصور تشير إلى أنه ذلك الرجل القوي الذي كان قابضاً على زمام أمور الدولة بيد من حديد ، وبهذا فإنه ليس من السهل في أن يتصرف جعفر بن سليمان دون علمه وخصوصاً في ضرب أمام دار الهجرة ومؤسس المذهب المالكي ، مالك بن أنس ، وفي حالة أن نلقي نظرة أيضاً على سياسة

المنصور تجاه مراقبة أحوال الحجاز ، ومتابعة سير الأمراء الذين كان يرسلهم لضبط البلاد له نستطيع أن نعرف مدى سيطرته على البلاد ومدى مركزيته في حكم الأجزاء البعيدة عن مركز الخلافة في العراق ( ٢٧ ) .

ب. أن جعفر بن سليمان لم ينزل العقاب بالقرشيين والموالي الذين ساندوا العلويين حتى جاءه الأمر من المنصور في أن ينفذ أمر العقاب عليهم فيسجن القرشيين ويقطع أيدي الموالي ( ٢٨ ) ، وهذا الأمر دليل على أن جعفراً لم يضرب مالكاً إلا بإشارة من الخليفة .

ج. أن عزل جعفر بن سليمان أيضاً من منصبه كأمير للمدينة مقابل ضربه الإمام مالك لم يكن في اعتقادي إلا صورياً ، إذ رأيناه يُعطى إمارة الحجاز كاملة في عهد الخليفة المهدي ( ١٥٨هـ ٧٧٤م – ١٦٩هـ / ٧٨٥م ) ، وتوليته هذا المنصب في عهد المهدي ولد أبي جعفر المنصور لا يستبعد أن تكون وصية ينفذها الولد لوالده مكافأة له على ما قام به من ضرب مالك وغيره من أهل الحجاز ( ٢٩ ) .

د. أيضاً أن من يتابع الفترة الزمنية التي أعطى فيها الإمام مالك فتواه كانت في منتصف عام (١٤٥هـ / ٧٦٢م) مع أن جعفر بن سليمان لم يعين أميراً على المدينة إلا في ربيع الأول من عام (١٤٦هـ / ٧٦٣م) وهذه الفترة الزمنية تكون كافية للخليفة المنصور وجعفر بن سليمان في أن يحيكا الخطة في ضرب مالك (٣٠) ، وبالتالي يذهب الخليفة ليستأذن من مالك فيما حل به ثم يعزل الأمير وبهذا يكون قد ظهر أمام الرأي العام بأنه يحترم ويجل العلماء ويدافع عنهم هادفاً إلى السلامة من إظهار نفسه بالمعتدي على رجال العلم وبالتالي يكسب رضا الناس في عمله وذلك الذي قام به من الالتقاء بمالك وطلب العفو منه بل وإخباره بعدم معرفة ما جرى في مسألة ضربه .

وظهرت ثورة في المدينة بعد ثورة محمد النفس الزكية عرفت في المصادر التاريخية بثورة السودان، وكان ظهورها بعد هزيمة العلويين وقتل معظمهم، ففي الوقت الذي واصل الخليفة المنصور انتصار جيشه بقيادة عيسى بن موسى كان قد أمر بإرسال

أمير يدعى عبد الله بن الربيع ( ٣١ )، ليكون والياً على المدينة ، وحين وصول هذا الأمير إلى مقر الإمارة في المدينة أطلق العنان لجنوده ليعيثوا في الأسواق والشوارع وكذلك المزارع فيدمروا كلما أتو عليها، مع العلم أن بعض أعيان وموالي وعبيد المدينة جاءوا إلى الأمير عبد الله بن الربيع ليشتكوا إليه من جنوده، فلم يسمع لهم ولم يردع جنوده عما كانوا يقومون به من أعمال تخريبية ، مع العلم أن فوضى أولئك الجنود كانت في أماكن متعددة من المدينة إلا أن احتكاكهم كان أقوى بالعاملين من طبقة العبيد في الأسواق والمزارع وغيرها حيث تم الاعتداء على بعضهم بالقتل وخصوصاً من كان يمارس التجارة وبعض الحرف اليدوية فاعتدوا عليهم في سوق المدينة وقتل بعضهم ، وهذا مما أدى إلى تجمع العبيد في المدينة ثم التصدي لعبد الله بن الربيع ومحاربته وطرده وجنوده ( ٣٢ ) .

ومن يتقص الأسباب الحقيقية لثورة السودان يجدها متعددة الأسباب ففي الوقت الذي ظهرت فيه ثورة العلويين في الحجاز ضيق المنصور الخناق عليهم

مما سبب عدم ارتياح من عامة الناس خصوصاً للثوار وإرساله أميراً ليبث الرعب والخراب في البلاد فيزيد الأحوال سوءا وهذه السياسة كافية لأن تظهر ثورة اجتماعية لكي يتنفس الناس مما حل بهم من مآس ، علماً أن هناك من أرجع أسباب الثورة إلى عوامل أخرى فيذكر طه الحاجري ( ٣٣ ) أن الهدف من قيامهم بثورة المدينة على أعقاب ثورة محمد النفس الزكية هو شعورهم بالقوة ولذا فإنهم كانوا يهدفون إلى الحصول على سيطرة سياسية إدارية في أرض الحجاز تمكنهم من حصولهم على مكانة جيدة في المجتمع ، وأنا لا أتفق مع الأستاذ الحاجري فيما قال وإنما شدة المنصور وسوء تصرف الأمير عبد الله ابن الربيع مع الحجازيين كان السبب الرئيسي لأن تقوم ثورة ضد الظلم والخراب والدمار الذي فعله جنود ابن الربيع ، أيضاً لا استبعد أن يكون للعامل الاقتصادي اثر في قيام الثورة ، وذلك يتضح مما قام به السودان اثناء ثورتهم وتصديهم لعبد الله بن الربيع وجنوده في أنهم في بادئ الأمر لاحقوهم في أماكن متعددة من المدينة ، ثم رجعوا إلى مخازن

الحبوب والأطعمة الخاصة بالخليفة ورجاله في المدينة فنهبوها جميعها، وهذا التصرف يوحي لنا بأنهم كانوا في حاجة ماسة إلى تحسين أوضاعهم الاقتصادية وربما إلى سد رمقهم والحاجة التي لحقت بهم ( ٣٤ )، كذلك من المحتمل أن يكون لأعيان المدينة وسادة العبيد يد في قيام ثورة السودان ضد عبد الله بن الربيع وجنوده، فربما أنهم قد أيدوهم وشجعوهم للتصدي لرجال الخليفة المنصور الذي قتل العلويين وعاقب من ساندهم في ثورتهم ، وهذا الاحتمال يكون قوياً إذا ما رأينا ما قاله السودان لأسيادهم عندما قاموا بالثورة إذ يذكر الطبري أنهم يقولون "والله ما قمنا إلا أنفة لكم مما عمل بكم فأيدينا مع أيديكم وآمرنا إليكم( ٣٥ )" وهذا القول فعلاً يدل على أن العبيد قد ثاروا برضا أسيادهم كذلك أنهم لم يكونوا يتطلعون إلى الحصول على زعامة أو نفوذ سياسي كما ذكر الأستاذ الحاجري أيضاً في رواية أخرى ذكرها الطبري في أنهم قالوا صراحة إنما ثاروا وهم فعلاً لا يتطلعون إلى أي نفوذ سياسي فإن نجحت ثورتهم فإن الأمر يترك شورى في أن يعقد مجلس مكون من أربعة من بني هاشم،

وأربعة من الأنصار ، وأربعة من الموالي ثم الأمر شورى بينهم ( ٣٦ ) " في أن يختاروا من هو أصلح للخلافة وقيادة زعامة الأمة الإسلامية، وهذا القول أيضاً يخالف رأي الحاجري ، وكيف يقدر العبيد أن يحصلوا على زعامة سياسية في بلاد الحجاز في حين أن العلويين ومعهم غالبية الحجازيين لم يحققوا هدفهم وإنما ثورتهم أصبحت هباء منثورا أمام حنكة وصمود الخليفة المنصور.

**ب - الأوضاع الحضارية :**

يتضح لنا من الصفحات السابقة ، ما ظهر في الحجاز من إضطرابات سياسية ، والتي كان لها جوانب سلبية على الجانب الحضاري ، مع أن الخليفة المنصور كان يذهب إلى بلاد الحجاز مقدماً بعض الإصلاحات العمرانية والمساعدات المالية لبعض الحجازيين ، لهذا سوف نرى تأثير الأوضاع السياسية على الأوضاع الحضارية ، ثم كيف كان ينظر الخليفة المنصور لبلاد الحجاز حضارياً .

إن من يدرس الأحوال الاقتصادية في أرض الحجاز خلال فترة المنصور يرى أن الجانب التجاري لم يكن نشطاً علماً أن مكة والمدينة ، كمدن مقدسة كان بها حركة تجارية جيدة ، وخصوصاً خلال فترة الحج لأنه يأتي إليها آلاف الحجاج الذين يؤدون مناسك حجهم وبالتالي يمارس

العديد منهم مهنة التجارة كعمل أساسي يعيش من ورائه ، في حين أنه كان هناك العديد من التجار الذين يأتون إلى هذه البلاد لأجل التجارة فقط وكسب الأرباح الجيدة خلال مواسم الزيارة والحج ( ٣٧ ) ، إلا أن المشكلة التي كانت على ساحة بلاد الحجاز تتمثل في القلاقل والثورات بل والصراعات بين جيوش الخليفة والثوار في أرض الحجاز ، وهذا الأمر سبب تدهور أحوال التجارة ، إلى جانب أن الخليفة المنصور استخدم العامل الاقتصادي كونه إحدى أسلحته لمحاربة الحجازيين فذكر أنه عندما سمع بظهور ثورة محمد النفس الزكية في المدينة أمر بأن تقطع الطريق البحري الواصل من مصر إلى ميناء الحجاز والذي كان مهمته تزويد الحجازيين بالحبوب والمواد الغذائية المتنوعة ( ٣٨ ) ، كذلك أمر بقطع الطريق البري الذي يصل بلاد الشام بالمدينة ، فوضع قوة عسكرية مسلحة في محطة وادي القرى الذي يقع في منتصف الطريق بين المدينة والشام ، ليمنع وصول السلع والمواد التجارية المختلفة إلى بلاد الحجاز ( ٣٩ ) وإذا كان قد فعل هذا التصرف مع الطريق القادمة من مصر وبلاد الشام فليس ببعيد أن يكون قد سلك نفس السياسة بقفل الطريق الأخرى الموصلة إلى الحجاز وخصوصاً التي تربط بلاد المشرق والعراق بأرض الحجاز واليمامة وبلاد اليمن وغيرها. أيضاً أن سياسة جيش المنصور وبعض الولاة الذين كان يرسلهم إلى الحجاز كانت سياسة قوة واضطهاد فمما ذكر عن عبد الله بن الربيع ورجاله نستطيع معرفة تدني الأحوال التجارية في الحجاز وانعدام الأمن إذ أشارت

المصادر الأساسية إلى جند عبد الله بن الربيع عندما ذهبوا إلى أسواق المدينة تدمر الدكاكين التجارية وتنهب الأموال والسلع التي في الأسواق ومثل هذا التصرف فعلاً يؤثر على التجارة ويؤدي إلى انهيارها وتدهورها (٤٠) أيضاً لم يكتف المنصور بكل ما عاقب به أهل الحجاز وإنما سعى أيضاً إلى تنشيط الطريق البحري التجاري الذي يربط الهند والصين بالخليج العربي بعاصمة الخلافة في حين أنه لم يكن يهتم بالطريق البحري الذي كان يمر بالبحر الأحمر ويربط بين شرق العالم وغربه ، وهذا السبب أيضاً سبب تدهور التجارة في أرض الحجاز (٤١) .

وبحدوث الثورات بالحجاز وخصوصاً ثورة السودان وما قام به الأمير عبد الله بن الربيع ، كان لها آثار سلبية على الصناعات والحرف المهنية، وذلك يظهر واضحاً في تاريخ الطبري (٤٢) إذ يصف لنا ما حدث من تصادم بين جيش عبد الله بن الربيع وأصحاب الصناعات والحرف في أسواق المدينة، وبالتالي كيف خربت محلات بعض المهنيين ، بل وكيف تم الاعتداء عليهم وقتلهم ، وهذه التصرفات والقلاقل السياسية لابد وأن تكون قد أثرت على مستوى الإنتاج للحرفيين والصناعيين بالحجاز (٤٣).

أما التأثير على الجانب الزراعي في المدينة وبعض المناطق الحجازية الأخرى التي كانت أراضي زراعية غنية بمزارعها ومنتجاتها (٤٤) فقد كان لثورة النفس الزكية وثورة السودان نتائج سلبية على الجانب الزراعي ، وذلك بأن أُعتدي على بعض المزارعين والعاملين ، في حقول الزراعة فقتل

بعضهم ، بل ودمرت بعض الأراضي الزراعية ، عندما تم أخذها ومصادرتها من قبل أصحابها ، إذ تذكر لنا بعض المصادر أن جميع أملاك عبد الله المحض وأهل بيته وكذلك بعض أعيان الحجاز الذين ساندوا الثوار ، تم مصادرة أملاكهم الزراعية من قبل الخليفة المنصور ( ٤٥ ) ، علماً بأننا لا ندري إلى من أعطاها ولا نستبعد أن تكون قد صودرت ثم تركت بدون زراعة وصيانة ، لأنه أيضاً ذكر عن الخليفة المهدي أنه قام عندما تولى الخلافة بإرجاع بعض تلك المزارع والأملاك المصادرة إلى أصحابها دون أن تشير المصادر أيضاً إلى أنها كانت في أيدي أحد خلال المدة التي صودرت فيها ( ٤٦ )، وبهذا فإنه احتمال قوي . أن بقيت بدون رعاية من وقت مصادرتها في عهد الخليفة المنصور إلى وقت إرجاع بعضها في عهد ولده الخليفة المهدي .

أما ما قام به الخليفة المنصور من أعمال إيجابية تجاه أهل الحجاز فإنه لم ينسهم حتى ولو كان قد أخمد الثوار العلويين بل وعاقب كل من قام بمساندتهم أو مد يد العون لهم ، لهذا فإنه كان له بعض الإصلاحات العمرانية التي قام بإنشائها أو إصلاحها في البلاد الحجازية ، فقام بإعطاء بعض الهبات والعطايا التي كان يوزعها أثناء ذهابه لأداء الحج والعمرة .

فمن أعماله في السنة التي مات فيها الخليفة السفاح (١٣٦هـ / ٧٥٣م) حيث كان أميراً للحج في تلك السنة ، فعند ذهابه من العراق إلى مكة كان يقوم بإصلاح الطرق والعقبات التي تقابله في ذلك الطريق الواصل بين الكوفة ومكة ، وأيضاً كان يحفر الآبار والبرك على طول الطريق ، إلى

جانب أنه كان يكسو الأعراب الذين يواجهونه على قارعة الطريق ، وفي أثناء وصوله إلى مكة قام بتوظيف خمسمائة وصيف ( خادم ) في المسجد الحرام لكي يقوموا بسقاية الحجاج وتنظيف المسجد ( ٤٧ ) . في حين أن إصلاحاته المعمارية في ارض الحجاز تتمثل فيما قام به من توسعة للمسجد الحرام في مكة . فتذكر المصادر أنه ذهب إلى الحج سنة (١٣٦هـ / ٧٥٣م) وعند رؤية ضيق المسجد وأنه لا يتسع لكل الزوار والحجاج أمر واليه على الحجاز ، زياد بن عبيد الله الحارثي ( ٤٨ ) ، أن يقوم بالإشراف على توسعة المسجد من الجهة الشمالية حتى يستوعب كل الزوار لبيت الله الحرام ، فقام هذا الأمير بالقيام على ما أوكل إليه ثم عمل في داخل الحرم أساطين الرخام، وزينها بالفسيفساء ، أيضاً نقش الرخام على بئر زمزم والحجر الأسود ( ٤٩ ).

ذكرت المصادر أن توسعة المسجد الحرام حدث في عهد الخليفة المنصور إلا أنهم يختلفون في سنة البدء فيذكر اليعقوبي ( ٥٠ ) أن البداية كانت في عام (١٣٨هـ / ٧٥٥م) في حين أن الطبري وابن فهد أرخا بعام (١٣٩هـ / ٧٥٦م) بأنها كانت البداية في عمل التوسعة ( ٥١ ) أما الأنصاري فلم يكن مستقراً على رأي اليعقوبي أو الطبري ، بل كان غير متأكد هل بداية العمل كانت في عام (١٣٨هـ) أو( ١٣٩هـ) ذاكراً أن العمل كان قد بدأ في واحدة من هاتين السنتين ( ٥٢ ) ، ومع أنه لم يكن هناك رأي راجح لتحديد السنة التي حج فيها الخليفة وأمره بالتوسعة إلا أننا نرجح أن تكون سنة (١٣٦-١٣٧هـ ٧٥٣-٧٥٤م) ، لأن الخليفة كان قد ذهب في حج ذلك العام ثم أمر

بالتوسعة التي لم تبدأ إلى أوائل عام (١٣٧هـ / ٧٥٤م) وما يؤيد رأينا هو ما ذكرته بعض المصادر المحلية لتاريخ مكة التي حفظت لنا كتابة كانت على إحدى أبواب المسجد الحرام والتي تشير إلى بداية ونهاية تلك التوسعة، وهذه الكتابة لا تزال موجودة في كتابي الأزرقي ، والفاكهي ، وهذا نصها:

" أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه ، نظراً منه للمسلمين واهتماماً بأمورهم وكان الذي زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل ، وأمر ببنائه وتوسعته في المحرم سنة سبع وثلاثين وفرغ منه ورفعت الأيدي عنه في ذي الحجة سنة أربعين ومائة(٥٣)، وهذا النص فعلاً يؤكد البداية والنهاية لتلك التوسعة التي أمر بتنفيذها الخليفة المنصور أثناء زيارته للحجاز في نهاية عام (١٣٦هـ).

ومن الإصلاحات العمرانية التي قام بها الخليفة المنصور أيضاً أنه أمر ببناء بعض المساجد الصغيرة في أماكن متفرقة من مكة والطائف وما حولهما ، بل وأصلح بعض المرافق العامة في المدينة كبناء الحمامات وأماكن للاستراحة وما شابهها ( ٥٤ ) .

كذلك الأعطيات والهبات التي كان يقوم بتوزيعها الخليفة المنصور أثناء ذهابه للحج ، فلم يكن يتوانى في الاتصال ببعض الأعيان من الحجازيين وكذلك بعض أفراد أهل بيته فيذكر البلاذري ( ٥٥ ) أنه حج سنة (١٤٠هـ / ٧٧٧م) فاعطا أهل المدينة أعطيات حسنة إلا أنه لم يذكر كم مقدار تلك الأعطيات وما نوعها ، في حين أن الطبري يذكر ذلك العطاء إلا

أنه ذكر معلومات لم يذكرها البلاذري في أن الخليفة قد خص عبد الله ابن الحسن وأهل بيته بالنصيب الأكبر من تلك الأعطيات ( ٥٦ )، ومع أن الطبري يعد الوحيد الذي ذكر أن أغلب أعطيات تلك السنة أعطيت إلى العلويين ، علماً أن سياسة الخليفة المنصور تجاه عبد الله بن الحسن وأهل بيته كانت سياسة طابعها القسوة والعذاب والاضطهاد ولكن لا نستبعد صحة ما ذكر الطبري خصوصاً إذا كان قد راجع سياسة الخليفة السفاح وكثر عطاياه للطالبيين حتى استطاع أن يشتري قلوبهم ويمنعهم من القيام بثورة ضده ، وإن كان قد فعلها الخليفة المنصور وحاول أن يعمل عمل أخيه السفاح وأنه لم ينجح وربما كان ذلك عائداً إلى الظروف التي أحاطت به في أن طال الوقت بالطالبيين الذين كانوا يفكرون في الثورة في عهد السفاح ، ثم لسياسة الخليفة المنصور التي كان طابعها القوة والشدة وقمع من تسول له نفسه الثورة، ثم أيضاً طول الوقت الذي بقي فيه الخليفة المنصور للدولة العباسية، وكل هذه العوامل قد تكون متضافرة في عدم نجاحه في شراء قلوب العلويين ومنعهم من الثورة ضده.

وقد استطردت بعض المصادر في تلك الأعطيات والهبات التي كان يوزعها الخليفة المنصور وخصوصاً ما سبق أن ذكره كلاً من البلاذري والطبري في سنة (١٤٠هـ / ٧٧٧م)، فذكر كلاً من ابن بكار، والنهراولي بأن الخليفة المنصور وزع في تلك السنة أعطيات على أهل المدينة، إلا أن أشراف القرشيين وأعيانهم نالوا نصيب الأسد من تلك الأعطيات دون أن يذكروا

مقدار الأعطيات التي كانت تعطى لكل واحد منهم حتى صرح بعض الأشراف بأنه كان يحصل على الألف دينار وربما أكثر كنصيبه من تلك الهبات ، ثم إن تلك الأعطيات لم تكن مقتصرة على رجال قريش وإنما قسم أموالاً على قواعد القرشيين من النساء وكذلك وزع عليهن صحائف الذهب والفضة مع كساوي جيدة ( ٥٧ ) والمشكلة الظاهرة على هذه الأعطيات أنها كانت مخصصة لأهل المدينة وليست لجميعهم وإنما كانت غالباً لعلية القوم من القرشيين ، وهذا العمل ربما كان سياسة من الخليفة في أن يكسب إلى جانبه بعض الشخصيات المؤثرة في الحجاز لتكون عوناً له على الثوار أو ربما كان يسعى إلى شراء قلوب أعيان المجتمع حتى لا يثوروا عليه ويساعدوا الثوار ضده ، لكن كل هذه لم تحجب عنه العلويين من أن يقوموا بثورة ، وأن يساندهم أغلب المجتمع الحجازي وخصوصاً من كان يعيش في المدينة وما حولها . وفعلاً كان جل اهتمام الخليفة على المدينة ومن فيها وذلك بصفتها موطن العلويين الذين كان يخاف منهم ، علماً أنه لم يذكر عنه في سنة (١٤٠هـ / ٧٧٧م) أن قدم أي عطاء لأهل مكة والطائف وغيرهما حتى أن الدينوري (٥٨) يذكر أن الخليفة أبا جعفر ذهب إلى مكة ثم رجع إلى المدينة فوزع فيها الأعطيات دون أن يوزع أي شيء في مكة ، وبهذا كان يقصد بعطائه هذا عملاً سياسياً بحتاً من أجل منع الثورة من القيام في أراضي المدينة .

ومن أعطياته وهداياه أيضاً ما ذكر الفسوي في أنه ذهب إلى الحج عام (١٥٢هـ / ٧٦٩م)، ثم قام بتوزيع مقادير كثيرة من الأموال على الحجازيين في كل من مكة والمدينة ، ومع أن الفسوي هو المصدر الوحيد الذي أشار إلى هذه الأعطيات دون أن يعطي تفصيلاً أكثر عن كميات تلك الأعطيات وعن من حصل عليها من السكان ( ٥٩ ) ، أيضاً كان للخليفة المنصور بعض الأعمال الخيرية التي تشمل بعض أفراد المجتمع المحتاجين فيذكر النويري ( ٦٠ ) بأنه أمر واليه في الحجاز زياد بن عبيد الله الحارثي، بأن يحرص على زيارة كبار السن والمعوزين من الرجال والنساء وإعطائهم ما يحتاجون من كساء وغذاء ، أيضاً أمره بأن يوزع بعض الأعطيات على النساء والأرامل غير المتزوجات وعلى الأيتام والعميان . أيضاً عطايا الخليفة المنصور كانت تشمل السياسيين ومن يعمل في خدمته فيذكر عنه أنه كان يغدق الأموال والهدايا على من يتجسس له على الحجازيين وخصوصاً ممن كان يخافهم من رجال العلويين ( ٦١ ) . وكان يتقرب من العلماء ومن يعمل في خدمة الدين والعقيدة ، إذ كان دائماً على صلة بهم ، وخصوصاً عندما يذهب إلى الحج فكان يلتقي بعلماء الحجاز ومن يأتي من الأجزاء الأخرى في الدولة الإسلامية ، وبهذا كان يسمع لنصائحهم ويعطيهم الأعطيات الجزيلة ، ومن أمثال من كان يلتقي بهم من علماء الحجاز مالك بن أنس وعبد الملك بن جريج وقاضي المدينة في عهده، محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد القرشي وغيرهم كثير ( ٦٢ ).

وخلاصة القول إن منطقة الحجاز قد شهدت أحداثاً سياسية متمثلة في ثورة العلويين ضد الخليفة أبي جعفر المنصور ، ثم عقب الثورة العلوية ثورة السودان التي كان العبيد في المدينة الأداة المحركة لتلك الثورة ، لكن صرامة وسياسة وبعد نظر الخليفة المنصور مكنته من القضاء على تلك الثورات ومنعت الثوار ومن ساندهم من الحجازيين الفوز بما كانوا يتطلعون إليه من إلحاق هزيمة ساحقة ببني العباس.

وقد نتج عن الحياة السياسية التي عاشتها منطقة الحجاز، وخصوصاً المدينة المنورة ، بعض السلبيات من قبل الخليفة ، فأصدر أوامره بمعاقبة عدد من أعيان وشيوخ الحجاز الذين ساهموا في ثورة العلويين ضد بني العباس ، كما قطع الأعطيات وصادر أملاك وعقارات بعض الحجازيين، إلى جانب أنه منع تصدير السلع ، وخصوصاً المواد الغذائية ، ومن الشام ومصر إلى منطقة الحجاز ، وكل تلك الأعمال التي سلكها الخليفة المنصور ليست إلا نكاية بالحجازيين على مساندتهم للعلويين ، علماً أنه لم ينس المنطقة في بعض الإصلاحات ، فأجرى توسعة للمسجد الحرام ووزع بعض الهدايا والأعطيات على بعض الفقراء والمساكين وبعض الناس من الحجازيين الذين كانوا عوناً له في توطيد سياسته في المنطقة الحجازية.

# الهوامش والتعليقات

١- أنظر . شمس الدين أبا العباس أحمد بن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ( بيروت ١٩٦٨م) جـ٣ ، ص٧١ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ( الإسكندرية ١٩٨٤م ) ، ص٧١ وما بعدها ، عبد الأمير عبد حسين دكسن ، الخلافة الأموية ، ٦٥-٨٦هـ / ٦٨٤-٧٠٥م ( بيروت ١٩٧٣م ) وما بعدها .

٢- انظر ترجمة لداود بن علي في، كتاب خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط٥ ( بيروت ١٩٨٠م ) جـ٢ ، ص٣٣٣ .

٣- أبو الفرج على الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، نحقيق أحمد صقر ( بيروت تاريخ النشر بدون ) ص١٧٩ وما بعدها .

٤- انظر تفصيلات عن الدعوة السرية التي كان بنو العباس يسعون خلالها لإسقاط دولة بني أمية . أبا جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ( القاهرة ١٩٦٠م ) جـ٧ ، ص٤١٢ وما بعدها ، أحمد شلبي ، التاريخ والحضارة الإسلامية ، ط٤ ( القاهرة ١٩٧٠م ) جـ٣ ، ص١٩-٦٢ .

٥- انظر حول سياسة السفاح مع العلويين ، أحمد بن يحيى البلاذري ، أنساب الأشراف ،تحقيق محمد المحمودي ( بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ) ، جـ٣ ص٢٣٢ ، أحمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ( القاهرة ١٩٦٧م ) جـ٥ ، ص٧٤ ، فاروق عمر " الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية " مجلة العرب ( ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م ) جـ١ ، ص٢١ .

٦- الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٢٢ ، البلاذري ، أنساب ، جـ٣ ، ص٨٥-٨٦ .

٧- أرسل الخليفة المنصور عدداً من الأمراء إلى كل من مكة والمدينة ليضبطوا له الأمن في بلاد الحجاز ، ويقضوا على ثورة العلويين التي تزعمها محمد بن عبد الله بن الحسن ، علماً أن أولئك الأمراء كانوا غير متساوين في سياستهم وتنفيذهم أوامر الخليفة ، وبعضهم اتصف بالحزم والقوة ، كزياد بن عبيد الله الحارثي ، والحسن بن زيد ، ومحمد بن خالد القسري ، إلا أنهم كانوا متعاطفين مع العلويين لقرابتهم من الرسولﷺ ، لذا فلم يكونون يشددون القبض عليهم ، وإنما كانوا متساهلين معهم فلم يكن يسع الخليفة إلا أن يعزلهم ثم يعاقبهم بالسجن ومصادرة أموالهم في حين أنه كان هناك أيضاً ولاة آخرون امتازوا بالشدة والقسوة ، خصوصاً على العلويين والحجازيين بشكل عام ، ومن أمثال أولئك الأمراء عثمان بن رياح المرئ ، وعبدا لله بن الربيع أنظر تفصيلات أكثر ، البلاذري، أنساب ، جـ٣ ، ص٨٥-٨٦ ، الطبري، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥١٧ وما بعدها ، أبا عبد الله الزبير بن بكار ، أخبار الموفقيات ، تحقيق سامي العاني ( بغداد ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م ) ، ص٣٦٨ ، إسماعيل بن علي بن كثير . البداية والنهاية (بيروت والرياض ١٩٦٦م ) جـ١٠ ، ص٢٦٢ .

٨- البلاذري ، أنساب ، جـ٣ ، ص٨٥ــ٨٦ ـ الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥١٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٨٤ .

٩- أنظر تفصيلات عن الثورة العلوية التي قامت في المدينة ضد دولة بني العباس في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ، الطبري ، تاريخ ،جـ٧ ص٥٥٢ــ٦٠٩ ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، تحقيق أم. دي غوى ( ليدن ، ١٨٦٩م ) جـ٣ ، ص٣٤٩ــ٣٥١ ، علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق شاربيلا ( بيروت ١٩٦٦م ) ص١٤٥.

J. Lassner . The Shapping Of The Abbasid Rule ( Princeton 1980 ) pp. 70-2 , F. Omar. " Some Aspects Of The Abbasid -

Husaynid Relation During The Eariy Abbsid Period 132–193 . A.H / 750–809 A.D " Arabica, Vol. XXII ( 1975 ) pp. 170FF

١٠ـ انظر للرسائل التي تبادلها الخليفة أبو جعفر المنصور مع محمد النفس الزكية ، الطبري ، تاريخ ، جـ٧، ص٥٦٦–٥٧١ ، فاروق عمر " الرسائل المتبادلة " ، ص٢٠ وما بعدها .

١١ـ انظر نفس المصادر والصفحات التي ذكرت في هامش ( ٩ ) .

١٢ـ أبو عبد الله الزبير ابن بكار ، أخبار الموفقيات ، ص٣٣٩ ، الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٧٨ ، ٦٠٣ ، حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، نصوص ، مشاهدات ، انطباعات ( الرياض ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ) ص٢٠٩ .

١٣ـ انظر الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٨٢ .

١٤ـ انظر تفصيلات حول تلك الخلافات في الرأي ، الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٧٢ـ٥٧٣ ، ٥٨٠ـ٥٨٢ ، ٥٨٦ وما بعدها .

١٥ـ الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٨٢ـ٥٨٣ .

١٦ـ المصدر نفسه .

١٧ـ الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٢٧ـ٥٢٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٧ـ٥٨٩ ، ابن بكار ، أخبار الموفقيات ، ص١٨٦ .

١٨ـ الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٨٢ .

١٩ـ المصدر نفسه .

٢٠ـ أشارت بعض المصادر إلى أن الفتوى التي أفتى بها الإمام مالك لأهل الحجاز على ترك بيعة الخليفة المنصور والإنضمام إلى العلويين . الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٦٠ ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق،

جـ٣ ، ص٢٩٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٨٤ ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . تاريخ الخلفاء ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ( القاهرة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م ) ص٢٦١ .

٢١- انظر في الصفحات السابقة من البحث نفسه .

٢٢- ابن بكار ، أخبار الموفقيات ، ص١٨٦ ، الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٧٩ .

٢٣- الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٥٠ ، ٥٩٠ .

٢٤- البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ٣ ، ص٨٨ وما بعدها ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، جـ٣، ص٢٣٥ .

٢٥- أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، تحقيق طه الزينى ( بيروت ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧) جـ٢ ، ص١٤٨ ، المؤلف نفسه ، المعارف ، تحقيق ثروة عكاشة ( القاهرة ١٩٦٠م ) ص٤٩٩ ، الطبري، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٦٠ ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ص٢٩٨ .

٢٦- انظر نفس المصادر والصفحات التي في ملاحظتي ( ٢٠ ) ، ( ٢٥ ) .

٢٧- من الأمراء الذين أرسلهم الخليفة المنصور إلى الحجاز ، زياد بن عبيد الله الحارثي ، والحسن بن زيد، ومحمد بن خالد القسري ، وعثمان بن رياح المرئ ، وعبد الله بن الربيع

٢٨- ابن بكار ، أخبار الموفقيات ، ص١٨٦ .

٢٩- لقد ترك الخليفة أبو جعفر المنصور لولده المهدي دولة مترامية الأطراف ، خالية من الفوضى والاضطرابات الداخلية ، إلى جانب أنه ترك له خزانه وافرة بالمال ، علماً أنه صادر أموالاً كثيرة من العلويين وغيرهم من الثوار في بلاد الحجاز ، إلا أنه عند ما حضرته الوفاة كان قد ترك بعض النصائح لولده ، كأن يحسن إلى من أساء لهم – الخليفة المنصور – وخصوصاً من القرشيين فيدفع لهم الهدايا

والأعطيات ، بل ويوليهم المناصب الإدارية ، فكـان جعفـر بـن سـليمان ضـمن مـن انطبقـت عليـه نصـائح الخليفة المنصور .

٣٠ـ الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٥٦ ، ٦٥٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٨٤

٣١ـ لقد أشار الطبري إلى أعمال عبد الله بن الربيع كأمير في بلاد الحجاز خلال عهد الخليفة المنصـور ، تـاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ، ص٦١٠ وما بعدها .

٣٢ـ أحمد بن يعقوب اليعقوبي ، تـاريخ اليعقـوبي ، تحقيـق أم. هوتسـما ( ليـدن ١٨٨٣م ) جــ٢ ، ص٤٥١-٤٥٢، الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٦١٠-٦١٤ ، عز الدين أبو الحسن ابن الأثير ، الكامـل في التـاريخ ، تحقيق س. تورنبرق ( بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ) جـ٥ ، ص٥٥٦-٥٥٧ .

٣٣ـ طه الحاجري ، الجاحظ ، حياته وتراثه ، ( القاهرة ١٩٦٩م ) جـ٢ ، ص٢٤٣ .

٣٤ـ الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٦١١ .

٣٥ـ المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٦١٢ .

٣٦ـ المصدر نفسه .

٣٧ـ انظر تفصيلات أكثر عن الأنشطة التجارية في موسم الحج . أبا الوليد محمد بن عبد الله الأزرقـي ، أخبـار مكة ، تحقيق رشدي ملحس ( مكة المكرمة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ) جـ٢ ، ص٢٣٩ ، أبـا الحسـن محمـد بـن أحمد ابن جبير ، رحلة بن جبير ( ليدن ١٨٥٢م ) ، شمـس الـدين أبـا عبـد الله محمـد المقدسـي، أحسـن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق دي غوى ( ليدن ١٨٧٧م ) ص١١١ـ١١٢ ، أبا عبد الله محمد الشريف الإدريسي " جزيرة العرب مـن نـزهة المشتاق " تحقيق إبراهيم شوكت ، مجلة المجمع العلمي العربـي العراقي ، ( ١٩٧١م ) جـ٢١ ، ص٢٠ .

٣٨- ابن بكار ، أخبار الموفقيات ، ص٣٣٩ ، الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٦٠٣ ، الجاسـر ، في شمـال غـرب الجزيرة ، ص٢٠٩ .

٣٩- الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٧٨ .

**Abdallah Al . Wuhaybi, The Northern Hijaz In Writing Of Arab Geographers, (800–1150) ( Beirut, 1973 ) pp. 293**

٤٠- اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ،ص٤٥١-٤٥٢ ، الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٦١٠-٦١١ ، ابن الأثير، الكامل، جـ٥ ، ص٥٥٦-٥٥٧ .

٤١- انظر نشاط التجارة في كل من البحـر الأحمـر والخلـيج العربـي ثـم تـأثير الـسياسة علـى مـستوى النـشاط التجاري بهذين البحرين، السيد محمد يوسف " علاقات العرب التجارية بالهند منـذو أقـدم العـصور إلى القـرن الرابـع الهجــري " مجلــة كليــة الآداب بجامعــة القــاهرة ، جـــ١٥، ١٩٥٣م ) ص٢٤-٣٠.

**Maurice Lombard . The Golden Age Of Islam, tr. Spencer (Amsterdam, 1975 ) pp. 16f, S. m. Imamuddin " Comercial Relation Of Spain With Iraq, Persia, Khurasan, China &India In The 10th Century A. C. " Islamic Culture, Vol. XXXVII (1961) pp. 180- 2 , R. Hart Mann ( Rev. P. A. Marr ) " Djudda " EI2, Vol. II, P.572.**

٤٢- تارخ الطبري جـ٧ ، ص٦١٠-٦١٤ .

٤٣ـ منطقة الحجاز كان بها العديد من الحرف والصناعات التي تزاول في أسواقها وكذلك في بيوت بعض المهنيين في حرف متنوعة ، انظر الأزرقي ، أخبار ، جـ٢ ، ص٦٠ ، ٧٩ ، ٣٠٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ .

٤٤ـ انظر النشاط الزراعي في الحجاز خلال عصر بني العباس . عبد الله محمد ناصر السيف " الزراعة في لحجاز في العصر العباسي " مجلة الدارة ، عدد ( ٢ ) سنة ( ٩ ) المحرم ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ، ص١٨٣-٢٠٥ .

٤٥ـ البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ٣ ، ص٨٦ـ٨٨ ، ابن بكار ، أخبار الموفقيات ، ص٣٦٨ ، الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٦٠٣ ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، جـ٣ ص٢٣٥ ، ابن كثير، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٢٦٢ ، إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني ، زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق علي البجاوي ، ط٢ ( القاهرة ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م ) جـ١ ، ص٨٣ .

٤٦ـ الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٦٠٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٢٦٢ .

F. Omar . " Some Opservation On The Reigon Of The Addasid Caliph al. Mahdi 158/775–169/785 Arabica, Vol. XXI (1974 ) P.140 .

٤٧ـ نجم الدين محمد بن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم شلتوت ( القاهرة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م ) جـ٢ ، ص١٧٢ ، عبد القادر بن محمد الأنصاري ، درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطرق مكة المعظمة ، ( القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ) ص٢٠٩

٤٨ـ انظر بعض أعمال زياد بن عبيد الله الحارثي ، الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٤٦٥ ، ٤٧٣ ، ٤٩٦، ٤٩٩، ٥١١ ، ٥١٧ ، .

٤٩- انظر تفصيلات أكثر عن توسعة الخليفة أبي جعفر المنصور للمسجد الحرام عند ، الأزرقي ، أخبار مكة ، جـ٢ ، ص٧٣-٧٤ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٦٠ ، المطهر بن طاهر المقدسي ، كتاب البدء والتاريخ ، ( باريس ١٩١٩م ) جـ٦ ، ص٩١ ، الأنصاري ، درر الفرائد المنظمة ، ص٢١٠ .

٥٠- تاريخ ، جـ٢ ، ص٤٤٣ .

٥١- الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٤٤٣ ، أبن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، ١٧٣-١٧٤ .

٥٢- الأنصاري ، درر الفرائد ، ص٢٠٩ .

٥٣- الأزرقي ، أخبار مكة ، جـ٢ ، ص٧٣-٧٤ ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي ، كتاب أخبار مكة ، تحقيق فواز الدهاس ، رسالة دكتوراة من جامعة أكستر ببريطانيا ( ١٩٨٣م ) ص٣٢٠-٣٢١ .

٥٤- أبو زيد عمر ابن شبه ، كتاب أخبار المدينة ، تحقيق سليمان الغنام ، رسالة دكتوراة من جامعة مانشستر ببريطانيا ( ١٩٧٣م ) ص١٤ ، تقي الدين محمد أحمد الفاس ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء ( بيروت ت، تاريخ النشر بدون ) جـ١ ، ص٢٦٢ ، ابن فهد ، إتحاف الورى ، جـ٢ ، ص١٧٣ .

٥٥- أنساب الأشراف ، جـ٣ ، ص٨٥-٨٦ .

٥٦- الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ص٥٢٢ .

٥٧- أبو عبد الله الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، تحقيق محمود شاكر ( القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ) جـ١ ، ص٣٠٣ ، قطب الدين المكي النهروالي ، كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، تحقيق أف. وستينفلد ( بيروت ١٩٦٤ ) ص٩١ .

٥٨- أبو أحمد داود الدينوري ، الأخبار الطوال ، ( القاهرة ١٩٦٠م ) ص٣٧٩-٣٨٠ .

٥٩- أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ، كتاب المعرفة والتاريخ ، تحقيق أكرم ضياء العُمري بغداد ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ) ص١٣٩ .

٦٠- شهاب الدين أحمد النويري ، نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وآخرين ( القاهرة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م ) جـ٤ ، ص١٧ .

٦١- البلاذري ، أنساب الأشراف ، ، جـ٣ ، ص٨٥ــ٨٦ ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، جـ٣ ، ص٢٣٤ .

٦٢- كان الخليفة أبو جعفر المنصور يتقرب إلى بعض علماء الحجاز خلال اجتماعه بهم وإعطائهم بعض الهدايا والأعطيات ، الطبري ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٥٣٩ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص١٧٣ ، ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، جـ٢ ص١٥٠.